المقدمة

"النكبة" ... هذا المسمّى المكرر بمعناه المجرد، هو التعبير عن تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه قسرًا في أيار من عام 1948. ولكن هذا الحدث التاريخي في حياة أبناء هذا الشعب ليس بالمحطة التاريخية التي يُمَرُّ على ذكرها مرور الكرام. بل هي حدث متجدد قد لا يكون تجددها بنفس الشكل البشع الذي حدث للمرة الأولى لكن الأسى الذي يصاحب حياة الإنسان الفلسطيني يجعله الدمغة التي تدل على النكبة في كل خطوةٍ من خطوات الحياة. والشواهد من أحداثٍ سياسية وحروب وأزمات متلاحقة لا تُعَدّ.
إذ قد يستفسر البعض، كيف لشبابٍ و فتياتٍ ولِدوا في بداية الألفية الثالثة أو انتهاء الثانية، أن يكون لهم حصة من معاناة أسلافهم الذين هُجِّروا من ديارهم قبل ما يزيد عن سبعين عام؟
و للإجابة على هذا السؤال كان علينا أن نرصد انعكاسات النكبة على حياة الجيل الجديد ونوثِّق آراءهم وتجاربهم في سطور هم يكتبونها فيسجلون تجربتهم مع حدثٍ بدأ في 15 أيار 1948 وما زال مستمراً حتى يومنا هذا.

استُهلّت نشاطات ورشة أرشيف النكبة في 18 تشرين الثاني 2022 بإجراء مقابلات مع ثلاث مسنّات من مخيم الجليل. وقد قام الشباب والشابات وعددهم 7 بإجراء الحوار وتوجيهه نحو نقاط معينة تثير اهتمامهم في حيثيات نكبة 1948، فكانت هذه الجلسة هي الجلسة التي طرحت تصورات الشباب ورؤيتهم للنكبة وانعكاسها على حياتهم، وقد اعتمد عليها الفريق لسبر معلوماته ولتحديد وجهة كتاباته.
في بداية الجلسة الثانية، شاهد الفريق بعض المقابلات المصورة من موقع الأرشيف والتي تركزت حول النقاط التي قرر الشباب تغطيتها خلال كتاباتهم. وتم فتح باب النقاش فيها وتسليط الضوء على تفاصيل تخدم أعضاء الفريق في كتاباتهم.

تطرقت إحدى الكتابات لقصة "أم الشهيد"؛ فكان الحديث عن تجربة اثنتين من أمهات الشهداء، عن وجع الفقد وعن صورة أم الشهيد الصابرة القويّة التي اعتدنا عليها والتي تخفي داخلها مرارة وحسرة ترافقها طيلة حياتها.

في قصة شابة أخرى، كان الضوء مسلطًا على "طوابير" فرضتها النكبة على اللاجئين، طوابير مختلفة كانت دومًا جزء من قصتهم منذ بداية تهجيرهم حتى اليوم.

كما سُلِّط الضوء على فكرة النجاة بالنساء والأطفال و إجراء المفارقة بين هذا أثناء النكبة وما كان يحدث في سوريا بعد ٢٠١٢ في قصة " الدخان فالخبز فالأسلاك الشائكة". شابهَت هذه القصّة في المفارقة والمشابهة بين نكبة اليرموك ونكبة فلسطين وذكريات التهجير المتوارثة قصة أخرى كتبتها شابة بعنوان "ذاكرة لا تفنى".

فكرة "الحنين" لمنزل مجهول لا يتذكره المرء كانت حاضرة في إحدى المشاركات وأيضًا كان هناك إسقاط بين تجربة الوالد الذي لم يعرف فلسطين وبين الإبن الذي لا يتذكر شكل بيت الأهل في سوريا إذ كان صغيرًا.

في "كيف لي أن أغفر" جرى الحديث من الناحية النفسية والعاطفية عن فكرة العودة إلى فلسطين بعد اجتياح لبنان ٨٢ حيث كان يُسمح بإعطاء تصاريح للاجئين من لبنان للدخول إلى فلسطين لزيارة أقربائهم. عرضت هذه القصة أحاديث وروايا مختلفة من النكبة وما بعدها تناولت العلاقة والتعاطي بين أهل الأرض والمحتلين.

أما في "أبو عادل الفاتح"، تفاصيل كثيرة في قصتَين مختلفتَين في الأحداث متشابهتَين في الشعور، أصوات كثيرة لاحقَت أصحاب هذه القصص منذ بداية نكبتهم وأصبحت جزء منهم ومن ماضيهم وحاضرهم ووجودهم.

إيهاب محمد كيلاني